وقد يختلط لدى البعض، كل من مفهومي الشخصية القومية والثقافة السياسية بمفهوم الصورة القومية.

وفي الحقيقة، ان العلاقة بين هذه المفاهيم ونقاط الالتقاء بينها لا تحول دون كونها منفصلة، وان هناك فروقاً معينة تجعل من وجود هوية مستقلة لكل منها امراً ممكناً، الى حد ما، مع انها مركبة بشكل يصعب فيه الفصل، بشكل مطلق، فيما بينها. فمفهوم الشخصية القومية يتعلق بدراسة السمات المميزة، والمستمرة، لشعب ما، وتصور هذا الشعب لهذه المميزات. وبهذا، فان هذا المفهوم يرمي الى معرفة الذات أو كيفية رؤية الشعب لذاته، بينما يذهب مفهوم الصورة القومية نحو رؤية الآخر[٢]، انطلاقاً من رؤيته لذاته.

وبكلمات اخرى، ان رؤية الشعب لذاته تدخل في اطار الشخصية القومية. أما رؤية الآخرين لهذا الشعب، فهي التي تكوّن الصورة القومية.

وتختلف، ايضاً، الصورة القومية عن الثقافة السياسية، مع أن الاخيرة تتضمن الاولى. فالثقافة السياسية تشير الى مجموع القيم والاتجاهات والمعتقدات السياسية السائدة في مجتمع معيّن، وان كانت الصورة القومية تشتمل، ايضاً، على تصور معين للقيم والمعتقدات والاتجاهات السياسية في المجتمع موضوع الصورة. وبهذا، فان الصورة تتضمن في ثناياها افكاراً عن الثقافة السياسية السائدة في مجتمعات الآخرين. كما ان الثقافة السياسية، بدورها، تؤثر في تكوين الصورة، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية لشعب ما. وعلى ذلك، تبدو العلاقة بين الصورة القومية والثقافة السياسية علاقة تأثير وتأثر متبادلة.

لقد أدى تطور دراسة العلاقات الدولية واساليب التحليل السياسي، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية، الى تمهيد الطريق لكي يهتم الباحثون بالصور القومية بين الامم والشعوب. فقد اثيرت اسئلة كثيرة حول علاقة الصور القومية باتخاذ القرار السياسي الخارجي، وعلاقتها بالتوترات الدولية، والدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الصورة في توسيع الشقة بين الشعوب، أو في زيادة التعاون فيما بينها.

والارضية التي ترتكز عليها هذه الاسئلة هي ان الانسان، في التحليل الاخير، ما هو الا ظاهرة اجتماعية تاريخية، تتحدد سماته بالمرحلة التي يمر بها مجتمعه؛ وان السلوك الدولي والصور القومية هما انعكاس للواقع الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ التاريخي للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد. ولعل العلاقة التي مرّ بها المجتمع العربي بالمجتمع الغربي تقدم مادة خصبة للتحليل، يمكن خلالها الوقوف على حيثيات الصورة المتبادلة فيما بينهما. يعود ذلك، على الاقل، الى طول فترة التفاعل بين الطرفين. فاذا أمكن الوصول الى حيثيات الصورة المتبادلة فيما بينهما، ومعرفة محددات الصورة لدى كل منهما عن الآخر، فان مشكلات كثيرة تثور بينهما يمكن أن ترتد الى اصولها، ومن ثم يسهل التغلب عليها بعملية اعادة ترتيب وتنقية للحقائق قدر الامكان. وبالطبع، ان الانطباعات والصور القومية المتبادلة بين الشعوب لا تنجم فقط عن عملية تشويه يقوم بها كتّاب، او رحالة، او تجار، او صحافيون، او مستشرقون ومستغربون؛ اذ ان الاسس المادية للصورة لا يمكن عزلها عن السياق. فعمليات نهب الشعوب، والاستعلاء، والعنصرية، والاضطهاد القومي، التي قام بها الغرب، لابد وانها اثرت، الى حد كبير، في صورته عند العرب، والفلسطينيين، او غيرهم.

ان هذا المفهوم يقودنا الى القول ان «تصحيح» الصورة المتبادلة بين طرفين يحتاج الى توفر